وسائل المشروع الثقافي الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية

(سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية نموذجا)

د / سعاد سطحي

جامعة الأمير عبد القادر . قسنطينة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الاستعمار الفرنسي البغيض قد طوق ربقة الجزائر بمشروعه الثقافي الذي يهدف من خلاله للقضاء على كينونة المجتمع الجزائري، ومقوماته الأساسية ، رغبة منه في تهجين الشعب الجزائري، وذلك بالقضاء على هويته الوطنية المتمثلة في الدين ، واللغة ، والوطن فراح يحشد لذلك الوسائل الكفيلة بتنفيذ مشروعه الثقافي الاستعماري .

هذا وإن المتأمل لهذا المشروع الثقافي الذي تبنى المستعمر الفرنسي تطبيقه يجده قد لامس شتى مناحي الحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، وقد تنوعت أشكاله ونماذجه قصد القضاء على الهوية الوطنية للفرد الجزائري، وسنحاول في

الله بوخلخال : " إن أعظم المؤسسات في أية أمة هي لغتها، لأنها وسيلة تفكيرها، ومستودع تراثها المشترك قديمه وحديثه، ومصدر وحدتها وقوتها." [1]

كما أن المتأمل لسياسة الفرنسة في الجزائر يجدها منصبة على أهم المؤسسات التربوية إذ تأتي المدرسة في طليعة ذلك، ولذا فإن فرنسا عندما نظمت أمور التعليم الابتدائي في الجزائر طبقا لمرسوم 13 فبراير سنة 1883 م جعلته فرنسيا خالصا في اللغة والمناهج والتوجيه العام ، وأنشأت نوعين من المدارس ، أحدهما خاص بأبناء الأوروبيين المستوطنين في الجزائر .

والآخر خاص بأبناء الجزائريين ، وجعلت التعليم فيهما معا باللغة الفرنسية ، وكان هدفها إبعاد اللغة العربية وثقافتها طبقا لسياسة الفرنسة . [2]

وفي ذلك يقول **الأستاذ أحمد توفيق المدني** في كتابه جغرافية القطر الجزائري :" كان التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريا بحتا لا يعترف باللغة العربية ، ولا يقيم لوجودها أي حساب . فاللغة الفرنسية هي وحدها لغة التدريس في كل مراحل التعليم ". [3]

كما قد جاء في أحد التعليمات الصادرة إلى حاكم الجزائر غداة الاحتلال، ما يلي :

---

[1] – وضع اللغة العربية في الجزائر : عبد الله بوخلخال ، مقال بمجلة لغتنا العربية في معركة الحضارة ، القاهرة العدد السابع والثامن عشر ، مايو 1997 م ، ص : 139 .

[2] – المرجع نفسه ، ص : 123 .

[3] – ص : 138 ، ط : 2 / سنة 1963 م ، دار المعارف ، القاهرة .

هذه المداخلة أن نركز على بعض هذه المناحي المنتهجة من قبل الاستعمار الفرنسي في إقرار مشروعه الثقافي في الجزائر وذلك من خلال تركيزنا على سياسة الفرنسة والقضاء على اللغة العربية .

وهذا من خلال ما يأتي :

أولا ــ إحلال اللغة الفرنسية وثقافتها محل اللغة العربية وثقافتها في الجزائر :

وهذا حتى ينسى الجزائريون بمرور الزمن لغتهم وثقافتهم القومية ويستعيضوا عنها باللغة والثقافة الفرنسية، كما حصل في عدد من البلدان في شتى القارات التي تعرضت للاحتلال المصحوب بعملية غزو ثقافي شديد الغرض منه القضاء على مقومات الشخصية القومية فنسيت لغتها وثقافتها، واستبدلتها بلغة وثقافة المستعمر ، وهذا مثل ما حدث للهنود الحمر في أمريكا الشمالية ، ومعظم شعوب أمريكا اللاتينية وبعض شعوب القــارة الإفريقية .[1]

ولقد كانت فرنسا تعلم علم اليقين أن القضاء على اللغة العربية له دوره الفعال في التبعية الثقافية، فأرادت أن تجعل الفرد الجزائري غريبا في وطنه ينطبق عليه قول المتنبي ، وهو يصف شِعب بوان :

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمـــــان

ولكن الفتى العــربي فيهــا غريب الوجه واليد واللسان

هذا وإن فرنسا كانت على علم تام بأن القضاء على اللغة العربية هو قضاء على تراث الأمة، ومحق لوسائل تفكيرها وفي هذا الصدد يقول الأستاذ الدكتور عبد

---

1 – التعليم القومي والشخصية الوطنية : تركي رابح ، ص : 123 ، ط : 1395 هـ / 1975 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر .

" إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح هناك لغة قومية والعمل الذي يترتب علينا إنجازه، هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي ، إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة حتى الآن ." [1]

بل إن قائد الحملة الفرنسية على الجزائر جعل من أولى أولوياته القضاء على اللغة العربية فراح يوصي جيوشه الظالمة قائلا : " علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر ، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة ." [2]

كما ورد في تقرير رسمي وضع سنة 1849 م ما يلي :

" لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة ،فإن قضاءنا المدني الجزائري ، والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة .

وبهذه اللغة يجب أن تصدر - بأعظم ما يمكن من السرعة — جميع البلاغات الرسمية . وبهذا يجب أن تكتب جميع العقود ، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا . فإن أهم الأمور التي يجب أن يعتنى بها قبل كل شيء ، هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا ، وإدماجهم فينا ، وجعلهم فرنسيين ." [3]

---

[1] – التعريب بين المبدأ والتطبيق :أحمد بن نعمان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ط: 1981 م ، ص : 155 .

[2] – اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي : مازن المبارك ص : 11 ، ط : 2 ، سنة 1985 م ، دار النفائس ومؤسسة الرسالة .

[3] – ما هي القومية : ساطع الحصري ، ص : 4 ، ط: 2 سنة : 1963 م ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان .

وبهذا انحصر وجود الثقافة العربية في الكتاتيب القرآنية ، و الزوايا ، وبعض الجوامع ، وفي مدارس التعليم العربي الحر الشعبية ، خلال فترة الاستعمار الفرنسي .

هذا وقد شن الاستعمار الفرنسي حربا ضارية على اللغة العربية ، وثقافتها حيث أغلق في وجهها معاهد التعليم التي أنشأها لتعليم أبناء الجزائر ما عدا ثلاث مدارس فقط أنشأها بغرض تكوين مجموعة من الموظفين لتقلد الوظائف الدينية في شؤون الإمامة والفتاوى ، والقضاء ، والترجمة وغيرها من الشؤون الدينية ، والأهلية الخاصة بالجزائريين .

وكانت الدراسة في هذه المدارس باللغتين العربية والفرنسية .

وكان من بين أهداف هذه المدارس منافسة الزوايا التي كانت تقاوم السياسة الاستعمارية وتعمل على نشر اللغة والثقافة الإسلامية بين الجزائريين والمحافظة عليها .[1]

كما أصدر الاستعمار الفرنسي خلال عام 1904 م قانونا يمنع أي معلم عربي أن يتعاطى مهنته إلا برخصة تحدد نشاطه وفق شروط أهمها ما يلي :

1. اقتصار التعليم على حفظ القرآن لا غير .
2. عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعو إلى التحرر من الظلم والاستبداد .
3. استبعاد دراسة التاريخ العربي الإسلامي ، والتاريخ المحلي ، وجغرافية القطر الجزائري والأقطار العربية الأخرى .

---

[1] – التعليم القومي والشخصية الوطنية : تركي رابح ، ص : 124 . مصدر سابق .

4. استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه . [1]

وقد جرت هذه العمليات على مراحل وبواسطة أجهزة متعددة شارك فيها عدد كبير من الباحثين ، والمفكرين والمستشرقين ، وقد تمثلت خاصة في الإجراءات الآتية :

1. غلق كل الأبواب في أوجه الجزائريين حتى لا يتمكنوا من تعلم لغتهم
2. فرنسة الإدارة ، والاقتصاد ، والتعليم .
3. محاربة العقيدة الإسلامية ، وذلك بتحويل المساجد إلى كنائس وثكنات أو حتى إلى إصطبلات . [2]

وفي سنة 1938 م صدر قرار وزاري من طرف وزير داخلية فرنسا شودان chaudain باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ولا يسمح بتعليمها في معاهد التعليم سواء أكانت حكومية فرنسية أم شعبية حرة كمعاهد التعليم العربي الحر إلا على هذا الأساس وبترخيص خاص من إدارة الاحتلال . [3]

وقد تمثلت محاربة الاحتلال الفرنسي للغة العربية خلال مراحل الدراسة في الأمور الآتية : [4]

---

[1] – المدرسة القرآنية وأثرها في تقوية النظام التربوي : نصر سلمان ، مقال منشور بمجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، العدد العاشر ، رجب 1422 هـ / سبتمبر 2001 م ، ص : 37 .

[2] – التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية : عبد الرحمن سلامة، ص : 15 – 16 مكتبة الشعب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

[3] – التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي : أحمد بن نعمان ص 165 – 168 .

[4] – التعليم القومي والشخصية الوطنية : تركي رابح ، ص : 128 – 129 . مصدر سابق .

1. فرنسة التعليم في المرحلة الابتدائية ، وجعل اللغة العربية لغة أجنبية واختيارية في بقية المراحل الأخرى .

2. تقسيم اللغة العربية إلى ثلاث لغات يمكن إهمالها جميعا في التعليم :

- عربية عامية يستعملها الشعب وهذه لا قيمة لها ، وبالتالي ليست مادة صالحة للتعليم في المدارس .
- عربية فصحى " لغة القرآن " وهذه مثلها مثل اللغتين اليونانية واللاتينية تعتبر لغة ميتة .
- عربية حديثة ، وهي معروفة بصورة باهتة في الجزائر لأنها نتاج بعض المتعلمين ، وهي في الحقيقة لغة أجنبية و أداة للقومية العربية ، ولذلك يجب إبعادها من برامج التعليم .

3. وأخيرا اعتبارها لغة أجنبية كما ينص قرار شودان .

هذا وقد كانت اللغة العربية في مرحلة التعليم الثانوي تتمتع نظريا بمكانة اللغات الحية ولكن في الحقيقة كانت تعامل دون سائر المواد العلمية ودون اللغات الأجنبية ، بحيث ينظر إليها على أساس أنها لغة الخصم التي يجب بذل كل الطرق للتخلص منها ومحاولة القضاء عليها نهائيا ، وجعل التلميذ الجزائري ينفر منها . ولذلك وضعت فرنسا خطة محكمة في ذلك تتمثل في الآتي : [1]

1. بذل كل المجهودات من طرف إدارات التعليم الثانوي لتوجيه التلاميذ الراغبين في تعلم اللغة العربية، كلغة ثانية، نحو فصول اللغات الأجنبية كالأنجليزية والإسبانية والإيطالية والألمانية .

---

[1] – التعليم القومي والشخصية الوطنية : تركي رابح ، ص : 135 - 136 . مصدر سابق .

2. زرع روح النفور من المدرسين للغة العربية ، وذلك بافتقارهم للكفاءة العلمية والتكوين التربوي الضروري لهم ، وجعلهم دون مستوى معلمي اللغة الفرنسية وبقية اللغات الأخرى ، فلم يكن موجودا في فترة الدراسة معاهد مختصة بتخريج المعلمين للغة العربية في المرحلة الثانوية ، مثلما هو موجود بالنسبة لمدرسي اللغة الفرنسية وبقية اللغات الأخرى.
3. عدم اهتمام إدارة الثانويات بحصص اللغة العربية كاهتمامها بحصص بقية اللغات الأخرى ، مع التقليل من الحجم الساعي لها .
4. تعليم اللغة العربية بواسطة اللغة الفرنسية ، وبالتالي جعل لغة القرآن لغة ميتة كاللاتينية والإغريقية .
5. جعل كتب اللغة العربية الدراسية ممزوجة الشرح والتحليل باللغة الفرنسية .
6. جعل النصوص التي تشرح للتلاميذ في حصص اللغة العربية تتناول مواضيع ليست جادة بل للتسلية والفكاهة ، مثل حكايات جحا ، والسندباد البحري .
7. تعليم اللغة العربية العامية بغرض محاربة اللغة الفصحى ، وإسناد تعليم اللغة العامية لمجموعة من الأساتذة الذين يجهلون آداب العربية وتاريخها وقواعدها .

كما كانت جامعة الجزائر التي أنشئت في أواخر القرن التاسع عشر في مدينة الجزائر لا تختلف عن أية جامعة أخرى في أرض فرنسا .

وكانت الدراسات العربية والإسلامية فيها مقصورة على الاستشراق وما يهم السياسة الاستعمارية العليا معرفته عن العالم العربي الإسلامي ، ولم تهتم بالثقافة العربية الإسلامية التي هي ثقافة الجزائريين القومية ، ولذلك لم تنشأ فيها مثلا أقسام لدراسة التاريخ الإسلامي ، أو الأدب واللغة العربية . [1]

وفي ذلك يقول الدكتور رابح تركي :

" ... يتبين لنا أن سياسة فرنسا التعليمية قد بنيت منذ البداية على أساس القضاء على اللغة العربية ، والثقافة الإسلامية ، ونشر نوع من التعليم الفرنسي يخدم على هذا الأساس هذا الهدف ، ويعمل على محاولة تحويل المجتمع الجزائري في المدى البعيد من مجتمع مناهض للاستعمار ، إلى مجتمع راض عن الوضع الاستعماري لبلاده ، ولديه القابلية للفرنسة والاندماج في مجتمع دولة الاحتلال وبذلك تتمكن دولة الاحتلال من السيطرة المطلقة والدائمة على الجزائر وبسط نفوذها على الجزائريين." [2]

وبالتالي نلاحظ أن الإدارة الاستعمارية استعملت في الجزائر كل الأساليب لمحاربة اللغة العربية ، ومن هذه الأساليب : [3]

1. حظر استعمال اللغة العربية في المجال الرسمي حظرا مطلقا، ولقد نفذ ذلك بدقة وصرامة ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح المتعلم باللغة العربية والأمي في مرتبة واحدة أمام الإدارة الفرنسية، والغرض من ذلك

---

1 – التعليم القومي والشخصية الوطنية : تركي رابح ، ص : 125 .

2 – المرجع نفسه ، ص : 125 .

3 – وضع اللغة العربية في الجزائر : عبد الله بوخلخال ، مقال بمجلة لغتنا العربية في معركة الحضارة ، عدد السابع والثامن عشر ، مايو 1997 م ، ص : 141 .

هو دفع الجزائريين إلى تعلم اللغة الفرنسية لشعورهم بحاجتهم إليها لقضاء مختلف حاجياتهم .

2. القيام بوضع الكتب المدرسية باللهجة العامية إرضاء لبعض الجزائريين ولكن في حقيقة الأمر هذه العامية الغرض منها هو إبعاد لغة القرآن عن الشعب الجزائري وبالتالي إبعادهم عن المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي و عن الإسلام . وكانت هذه العامية في حقيقتها خليطا من العربية والبربرية والتركية والفرنسية .

3. محاولة عزل الشعب الجزائري عن بقية الشعوب العربية ، وذلك عن طريق فرض حصار متين ومحكم على تسلل الثقافة العربية الإسلامية من المشرق .

وهذه نماذج من الكتب التي ألفت لتعليم العامية للجزائريين : [1]

لقد قام الاستعمار الفرنسي وأعوانُه بوضع سلسلة من الكتب المدرسية لجميع مراحل التعليم باللهجة الجزائرية العامية كلغة أجنبية اختيارية ، بعد اللغة الفرنسية الإجبارية مزودة بنصوص القراءة الميسرة ، ووضعت تبعا للهجات كل منطقة من مناطق القطر الجزائري، ومن بين هذه الكتب :

1. كتاب الطريقة المستقيمة لتعليم لغة العامة تأليف السيد دسبارمي المدرس طبع سنة 1907 م بمطبعة جوردان بالجزائر ، ويشتمل هذا الكتاب على مجموعة من الدروس بالعامية كتبت بالحرف اللاتيني أولا ثم الحرف العربي ، وهذا عرض لمحتويات هذا الكتاب :

---

[1] – وضع اللغة العربية في الجزائر : عبد الله بوخلخال ، مقال بمجلة لغتنا العربية في معركة الحضارة ، عدد السابع والثامن عشر ، مايو 1997 م ، ص : 143 - 144 .

الباب الأول : في المسيد والحساب .

الدرس الأول : بيت القراية (الاطلاع على مكونات القسم الدراسي باللهجة العامية وبالحرفين اللاتيني أولا ثم العربي)

وبطريقة حوارية بين المعلم والتلميذ في شكل أسئلة وأجوبة ، وتكون إجابة التلميذ بـــ : نعم سيدي ، لا لا سيدي .

ومن أجل معرفة " قش بيت القراية " يدور هذا الحوار :

س : واش هذا ؟ ج : هذه الطابلة ، هذا الداباشير ....

ثم يدور حوار حول الطابلة متاع الشيخ ، ودوزان التلميذ ، والحوايج كيفاش راهم ، إلخ .

الباب الثاني :

تقسيم الأزمنة : الساعة ، اليوم ، الليلة ، والشهور ، والفصول والأعوام ، وماذا يفعل الإنسان في هذه الأزمنة ، وشهور المسلمين وشهور النصارى وغيرها .

الباب الثالث:

جسم بني آدم ، تعريف بأعضاء جسم الإنسان .

الباب الرابع :

المأكولات ، الفطور ، الغذاء ، العشاء وأنواع اللحوم والخضر والفاكهة .

الباب الخامس :

أنواع الألبسة الحضرية والبدوية .

الباب السادس:

السكن الريفي ، الخيمة ، والقربي ثم سكن الحضر وأقسامه .

الباب السابع :

الأسرة (أهل الدار) والخدم ووظائفهم .

نموذج لنص للقراءة تحت عنوان : " واش نعملوا في المدرسة " :

" في المدرسة نتعلموا نقراوا ونكتبوا ونحسبوا ونصوروا ، ونغنيوا الشيخ يدبر علينا واحنا نصنتوا له، الشيخ يسقصي فينا واحنا نواجبوا الشيخ يعطي لنا خدمة واحنا نخدموا ، الشيخ إذا يعلي صوته واش تعملوا : نسكتوا ، وإذا الشيخ يعايركم تستحيوا ، وإذا الشيخ يعاقبكم تبكيوا ، وإذا الشيخ يشكركم تفرحوا الشيخ يوري الحاجات والتصاور ، والتلاميذ يشوفوا ، الشيخ يفسر لهم الكلمات والتلاميذ يفهموا ، الشيخ يحكي لهم الحكايات والتلاميذ يضحكوا ."

2. كتاب ثان في القراءة الميسرة ، بعنوان : "التدريس المتوسط في استعمال العربية الجارية عند المسلمين الجزائريين " تأليف الشيخ صوالح محمد بن معمر ، طبع بمطبعة كاربونال سنة 1923 م .

من بين نصوصه : حكاية (جحا وعزرين):

" جحا حفر قبر في مقبرة وساعة ساعة كان يجي يوقف عليه .

قالوا له الناس : أجحا ، هذا القبر لاش ؟

قال لهم : بغيت ندريها بعزرين ، باش ما يساواني شي ، وما يسوطني شي .

قالوا له : كيفاش .

قال لهم : نهار الي نموت ويجي يحوس علي ما يصيبني شي .

قالوا له : كيفاش ما يجبرك شي .

واجبهم : على خاطر كيشوف القبر قديم يقول : مولاه مات دالة زمان وساولته وعذبته .

ذيك الساعة يقيلني وأنا نسلك منه .

قالوا له : بصح هذه حيلة ، الله يزيدك في قلة العقل والهبال ."

ومما يؤسف له أن بعض أبناء جلدتنا من أذناب الاستعمار وعبيده راحوا يهللون للقضاء على اللغة العربية ، ويمكنون لإحلال اللغة الفرنسية مكانها مما جعل ذلك يحز في نفس الشاعر الكبير محمد الشبوكي فراح يقول :

لغة الأعاجم قد غزت لغة الأعارب في حماهـــا

وتمكنت في أرضهـــا واستعمرت حتى سماهـــا

عجبا أفي كل المجـــا لس لا يرن سوى صداها

ما عيب غادة يعرب حتى تصبتهم سواهـــا ؟

أفليست الدنيا جميعا قد تفانت في هواهـــــا

أيام كان العرب ذا دة حوضُها .. طرا فداها

والغرب ظل مُولّها دهـــرا يتيمـــه بهاهـــا [1]

ثانيا ــ القضاء على معظم مراكز الثقافة العربية واللغة العربية التي تتمثل في المدارس والجوامع والزوايا ، والتي كانت قائمة في البلاد قبل الاحتلال .

---

[1] – ديوان الشيخ الشبوكي ص : 43 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد .

فالبعض منها حوله إلى معاهد للثقافة الفرنسية ، وبعضها سلمه إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذته مراكز لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين والبعض الآخر قام بهدمه تحت دعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية .

وعلى سبيل المثال كان في مدينة قسنطينة قبل دخول الاحتلال إليها في عام 1837 م ثمانون مدرسة وسبعة معاهد ، وثلاثمائة مدرسة وزاوية لم يبق منها بعد الاحتلال سوى ثلاثين مدرسة فقط .

وكان في مدينة عنابة 39 مدرسة ، و37 مسجدا وجامعا وزاويتان قبل الاحتلال لم يبق منها بعده سوى 3 مدارس و15 مسجدا فقط ، وكذا الأمر بالنسبة لبقية المراكز الثقافة العربية في مختلف ربوع الوطن الجزائري . [1]

وقد اعترف "الدوق دومال" الوالي العام على الجزائر في تقرير له إلى حكومته فيما يتعلق بالقضاء على مراكز نشر اللغة العربية حيث قال: " قد تركزنا في الجزائر واستولينا على المعاهد العلمية وحولناها إلى دكاكين وثكنات ." [2]

ثالثا ــ محاربة التعليم العربي الحر وإغلاق المدارس العربية الحرة :

حيث أصدرت السلطات الفرنسية قانون 8 مارس 1938 م والذي نص على وجوب الحصول على رخصة من إدارة الاحتلال قبل مباشرة التعليم ، وقد وضع هذا القانون شرطين لإعطاء الرخصة هما :

ــ **الشرط الأول** : كفاءة المعلم العلمية ولياقته البدنية .

ــ **الشرط الثاني** : صلاحية المحل للتعليم ، مع توفر الشروط الصحية فيه .

---

1 – التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 93 – 94 ، مصدر سابق.

2 – وضع اللغة العربية في الجزائر : عبد الله بوخلخال ، مقال بمجلة لغتنا العربية في معركة الحضارة ، عدد السابع والثامن عشر ، مايو 1997 م ، ص : 140 .

وكان الغرض من هذا القانون هو القضاء على التعليم العربي الحر الذي نشط وانتشر على نطاق واسع خاصة بفضل جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والذي أصبح ينافس مدارس الاستعمار الفرنسي منافسة حادة .

يقول الدكتور رابح تركي : " وينبغي أن نشير هنا إلى أن الحرب التي شنها الاحتلال على التعليم العربي الحر لم تقتصر على التقتير في منح رخص التعليم لمن يطلبها من المعلمين والمنظمات الوطنية كما لم تقتصر على اضطهاد المعلمين، ومحاكمتهم، وسجنهم أو تغريمهم، وإنما تعدى الأمر إلى محاربة المدارس الحرة التي بناها الشعب بعرق جبينه، ومن تبرعاته بقصد تعليم أبنائه المحرومين من تعلم لغتهم ودينهم .

وقد تمثلت حرب الاحتلال للمدارس المذكورة في الأمر بإغلاقها بعد سحب رخصة التعليم التي كانت قد منحت لها بالفعل . "[1]

ويقول الشيخ عبد الحميد بن باديس (رحمه الله) في مقال له في جريدة البصائر بعنوان : يا الله للإسلام والعربية في الجزائر : " .... ويدبرون كيدهم فيستصدرون من الحكومة قرارا وزاريا بعقوبات صارمة على التعليم، ليهدموا هذه الشخصية الإسلامية من أصلها وليقضوا عليها بالقضاء على مادة حياتها ..... علموا أن لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده وأخلاقه ، وآدابه، وأحكامه وأن لا تعليم له إلا بتعليم لغته فناصبوا تعليمها العداء وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه والبلاء ، فمضت سنوات في إغلاق المكاتب القرآنية

---

[1] – التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 176 .

(الكتاتيب) ومكاتب التعليم الديني العربي (المدارس) والضن بالرخص واسترجاع بعضها حتى لم يبقوا منها إلا على أقل القليل ."[1]

مع ملاحظة بأن قانون 8 مارس 1938 م كان مقتصرا على التعليم العربي الحر فقط ولم يشمل التعليم الفرنسي الحر الذي تقوم به الهيئات المسيحية التبشيرية في الجزائر كما لم يشمل كذلك التعليم العبري الذي كانت تتولاه المعابد اليهودية ، وكانت لهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم ونشاطهم الديني وفي فتح المدارس والمعابد والكنائس بدون أية رخصة .[2]

رابعا ــ نهب التراث الثقافي العربي الإسلامي الذي كان موجودا في المكتبات الجزائرية من مخطوطات ووثائق وكتب .

إذ عمل ضباط جيش الاحتلال الفرنسي ورجال الدين الذين رافقوه في عمليات الغزو على نهب المكتبات الجزائرية التي يعثرون عليها في مختلف نواحي القطر الجزائري ، سواء أكانت عامة أم خاصة ، ويرسلون بمحتوياتها إلى ذويهم في فرنسا ، أو يبيعونها لتجار الكتب الأوروبيين حيث تنقل إلى أوروبا .

وهذا ما يفسر ظاهرة انتشار المخطوطات العربية في مكتبات بلديات فرنسا .

هذا فضلا عن المكتبات والكتب التي أحرقوها أو بعثروها كما فعلوا بمكتبة الأمير عبد القادر الجزائري ، إلى درجة أن الأمير عبد القادر أصيب بنوبة من الحزن الشديد وهو يتتبع آثار الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في

---

1 – جريدة البصائر العدد : 90 ، السنة الثالثة ، 10 ديسمبر 1937 ، ص : 8 .

2 – التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 170 .

الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيون من الكتب التي عانى الكثير في جمعهـــــا. [1]

وفي هذا الصدد يقول الدكتور رابح تركي :

" ولا شك أن هذا النهب المتعمد للتراث الثقافي القومي في الجزائر يدخل في نطاق محاربة الثقافة العربية ، والعمل على طمس معالمها لأنها هي المقوم الأساسي للشخصية الجزائرية التي يسعى الاحتلال إلى القضاء عليها بجميع الوسائل ." [2]

وعلى الرغم من كل هذه المحاولات التي قام بها الاستعمار الفرنسي لفرض اللغة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية ، فإن الشعب الجزائري وقف في وجه كل هذه المحاولات ، واستطاع أن ينشىء بمجهوداته الخاصة كتاتيب وزوايا في الأرياف والجبال لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي . [3]

وفي الختام:

نتمنى لملتقاكم المبارك أن يحقق الأهداف المرجوة منه، وأن يوفق الله القائمين عليه، وذلك بتكليل أعمالهم بالسداد ومساعيهم بالرشاد . آمين، وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

1 – مارسيل أجريتو ص 17 . نقلا عن لتعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 94 .

2 – التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص 95 .

3 – وضع اللغة العربية في الجزائر : عبد الله بوخلخال ، مقال بمجلة لغتنا العربية في معركة الحضارة ، العددان : السابع والثامن عشر ، مايو 1997 م ، ص : 141.